

نحو مكتبة رقمية لتراث القدس

أحمد السعيد

باحث في كلية الآداب، تطوان، المغرب

ينطلق هذا العرض من سؤال التراث، أي تراث، وقدرته على مجازاة التحولات المعاصرة بما فيها التحولات المعلوماتية.. إذ إن التراث اليوم وحصره عند بعض الباحثين في مفهومه وقضاياه ومكوناته.. صار قاصرا بمعزل عن هذا الطريق السيار للمعلومات، وأكاد أجزم بأن أي تراث ليس موجودا ومتوافرا من حيث مصادره على شبكة الأنترنت هو تراث يكاد يكون ميتا بغض النظر عن مضامينه وقيمتها الفكرية. من هنا صار توفير التراث على الأنترنت بما هو تركة فكرية عن القدامى فرض عين على المحدثين لكن أي تراث هو المقصد هنا؟

بغية هذا العرض تجلية مظاهر التراث العربي الإسلامي عامة والفلسطيني خاصة والمقدس على الأخص كيف يمكن خدمة هذا التراث المتألف من نصوص مخطوطة ومطبوعة في مختلف مجالات المعرفة؟ كيف يكون حفظه من دون الحاجة إلى خزائن، وصيانتها من دون الحاجة إلى مواد لمقاومة الآفات الطبيعية والبشرية والفيزيائية وترميمه من دون الحاجة إلى آلات لملء خرومه وتبييضه وإزالة الحموضة منه...، وقراءته من دون الحاجة إلى طباعته أو قراءته باستعمال القارئات الفيلمية...؟ خدمة هذا التراث متيسرة جدا وذلك بواسطة التقنيات المعلوماتية الحديثة (الحاسوب، الأنترنت، الماسح الضوئي، برامج التنسيق والقراءة والترميم والصيانة المعلوماتية).

غرضنا هو إحياء تراث القدس ليس من وجهة علمية أي الدعوة إلى نشر هذا التراث وتحقيقه ودراسته، فكثير من الباحثين يجعلوننا في غنية عن تردد هذا الأمر، بل إحياء ذاك التراث بتوفيره على الأنترنت في شكل مكتبة رقمية تضم تراث القدس المخطوط والمطبوع أي النصوص المعروفة نسبتها إلى هذه الحاضرة، لكن ما الخطة الكفيلة بإنجاز هذه المكتبة؟

لا بد من الإشارة إلى أن هذه المكتبة تقوم في كليتها على الرقمنة digitalisation أي تحويل المخطوط أو المطبوع أو الصورة أو الرسم إلى مادة رقمية يمكن تصفحها على الحاسوب الشخصي وفي الأنترنت بما هي واقع افتراضي Virtual Reality ومن ركائز هذه الخطة:

إنشاء موقع إلكتروني على الأنترنت يكون مكتبة للمواد الرقمية من مخطوطات ومطبوعات ودوريات في البدء يومكن توسعته ليشمل كل ما أنتج في مجال القدس وفلسطين فكريا وفنيا.. إحصاء دقيق لهذا التراث والقيام بدراسة بيبليوغرافية عنه خصوصا المخطوط منه (أماكن وجوده، عدد نسخه، تاريخ النسخ، حالته المادية)

القيام بجهود أولية لجمع هذا التراث بالتصوير أو بالاقتناء، والبدء أولا بالتراث الأقرب فالقريب ثم البعيد من حيث المكان، إذ لا يمكن التعويل على جمع التراث كله ثم القيام بعد ذلك بتصويره، فهذا صعب جدا، ثم يمكن البدء بالتراث المخطوط لأنه الأكثر عرضة للتلف، كما ينه هنا إلى ضرورة احترام شروط الملكية الفكرية، ومن ثم فلا بد من اقتناء هذه الحقوق من لدن المؤلفين أو دور النشر. البدء بتصوير هذا التراث بالماسح الضوئي المتطور الذي يتوافر على سرعة قياسية يمكن بواسطته تصوير الكتب المخطوطة والمطبوعة في دقائق معدودة.

معالجة المواد المصورة ببرامج معلوماتية تحول الصور إلى كتاب إلكتروني وتفهرسه مما ييسر قراءته

ببرامج متطورة مثل (أدوب رايدر). وننبه هنا إلى أن الكتاب المخطوط أو المطبوع يكون مطابقا تماما للأصل، ومن ثم فهو صالح للاعتماد في مجال البحث العلمي.

هندسة الموقع الإلكتروني وتصنيف مواده حسب التخصص المعرفي أو الزمان أو عنوان الكتاب أو اسم مؤلفه.. ويتم تحيين هذا الموقع كلما جد جديد مثل إضافة مواد جديدة..

لو توافر لكل عملية بعينها فريق (فريق البحث عن التراث وفهرسته، فريق التصوير، فريق المعالجة المعلوماتية، فريق النشر على الانترنت، فريق الصيانة والمراقبة والحماية من القرصنة..) وإن كان العمل برعاية مؤسسة ومدعما ماديا ومنهجيا لكان من القيمة بمكان، كما هو شأن مشروع رقمنة تراث الجامع الأزهر بالقاهرة برعاية إحدى مؤسسات الإمارات.

إنشاء منتدى في الموقع نفسه للتداول بشأن هذا التراث ومناقشته ودراسته..

وبعد، فما الثمرات المنتظرة من مثل هذا العمل؟

المنتبع للانترنت وما تزخر به في مجال التراث والبحث العلمي سيجد عددا من المواقع والمنتديات العربية التي أنشئت بمجهودات فردية كالوقفية والمكنز والمصطفى وملتقى أهل الحديث واللوكة..

وسيقف على الفوائد الجمة التي تقدمها، وخاصة الاطلاع على المواد الرقمية من مخطوطات ومطبوعات، وهذا أمر لا مراء فيه. وهذا المشروع إذا تحقق وقِيض له أن يرى النور، فقيمتة المعرفية والحضارية والاستراتيجية والفكرية والمستقبلية كبيرة جدا، وبإمكان المتصفح في أي مكان من العالم الاطلاع على تلك المواد الرقمية وتحميلها والاستفادة منها بطريقة سهلة جدا، ومن ثم فاستشراف الواقع الثقافي والفكري لمدينة القدس يبتغي في هذا العرض استنبات هذا الواقع في المستقبل أي جعل تراث القدس حيا ومتداولاً ومتفاعلاً في الواقع الحقيقي والافتراضي، ذلك يعني أكثر الحفاظ على الذاكرة الجماعية بواسطة ذاكرة أخرى رقمية تكون متاحة للأجيال القادمة.